كتاب المنثورات والمُلَح[1]

بابٌ في أحاديث الدجال وأشراط الساعة وغيره

١٨٠٦ ـ عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ، وَرَفَّعَ[2]، حَتَّى ظَنَنَّاه فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ، عَرَفَ ذلكَ فِينَا، فقالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ الْغَدَاةَ، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاه فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ!! فقالَ: غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفَنِي عَلَيْكُمْ[3]، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُه[4] دونَكُم، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ[5]، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلى كُلِّ مُسْلِمٍ[6]: إِنَّه شَابٌّ قَطَطٌ[7]، عَيْنُهُ طَافِيَةٌ[8]، كَأَنِّي أُشَبِّهُه بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ

---

(١) أي الأحاديث المتنوعة، التي لا تتقيد بباب خاص، كخروج الدجال، ونزول عيسى من السماء في آخر الزمان، وبعض القصص الغريبة والمُلَح أي الأخبار والأحاديث المستحسنة التي يحبُّ أن يسمعها الإنسان.

(٢) «ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَخَفَّضَ فيه ورَفَّعَ» أي ذكر ﷺ خبر الدجال، وما يكون من فتنته العظيمة، فحقَّر شأنه، وفخَّم من أمر فتنته للبشر، ليحذره المسلمون، ويعرفوا خطره.

(٣) «غيرُ الدجال أخوفني عليكم» أي لا أخاف عليكم من فتنة الدجال، بل هناك من الفتن ما هو أخطر وأكبر!! أمَّا فتنة الدجال، فاللَّهُ يحفظكم من شرِّه، وأنا لا أخاف عليكم منه، وسأبيِّن لكم بعض أوصافه.

(٤) «إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجُه» أي إن خرج الدجالُ، وأنا حيٌّ بينكم، فلا تخافوا منه فأنا محاجُّه، وقاطعُ حجته، ومدافع عنكم.

(٥) «فامرؤٌ حجيجُ نفسه» أي كلُّ إنسان يُحاجُّ ويدافع عن نفسه، بما أخبرتكم من صفاته، فإنه أعورُ العين، ولو كان إلهاً كما يزعم، لأذهب عن نفسه العيب والشَّيْن.

(٦) «واللَّه خليفتي على كل مسلم» أي أن يحفظ من الفتنة والزيغ.

(٧) «شابٌّ قَطَط» أي شديد جعودة الشعر.

(٨) «عينُه طافية» أي ذهب نورها وبرزت إلى الأمام بمعنى أنه أعور.

قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَه مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ[١]، إِنَّه خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ[٢]، فَعَاثَ يَمِيناً وَعَاثَ شِمَالاً[٣]، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا[٤]!! قُلْنَا: يا رَسولَ اللَّهِ وَمَا لُبْثُه في الأَرْضِ[٥]؟ قالَ: أَرْبَعُونَ يَوْماً: يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ[٦]، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ، فذلكَ الْيَوْمُ الذي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلاةُ يَوْمٍ؟ قال: لا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ في الأَرْضِ؟ قالَ: كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ[٧]، فَيَأْتي عَلى الْقَوْمِ، فَيَدْعُوهُم[٨]، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّماءَ فَتُمْطِرُ[٩]، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ،

---

(١) «فواتح سورة الكهف» أي ليقرأ عليه الآيات العشر، من أول سورة الكهف ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ..﴾ الآيات، فإنها تدفع عنه فتنته.

(٢) «خارج خلّة بين الشام والعراق» أي يخرج من مكان بين الشام والعراق، ورُوي «ومَخلُه» أي محلُّ خروجه، وهو الذي رجّحه صاحب نهاية الغريب وفسّره بالطريق بينهما.

(٣) «فعاث يميناً وعاث شمالاً» أي فأفسد في البلاد، ذات اليمين والشمال، فهو لا يكتفي بإفساد ما يدخله من البلاد، بل يبعث سراياه يميناً وشمالاً، فلا يأمن من شرّه مؤمنٌ ولا كافر.

(٤) «يا عباد الله فاثبتوا» أي أوصيكم يا عباد الله أن تثبتوا على الإيمان، ولا تحيدوا عنه، بسبب ما ترون من عظيم فتنته، فإنه يقول للسماء: أمطري فتمطر، ويقول للأرض أخرجي نباتك، فتخرجه، ويقتل إنساناً ثم يحييه، ففتنته عظيمة، وشرّه كبير وجسيم.

(٥) «ما لبثُه في الأرض»؟ أي ما هي مدة مكث الدجّال في الأرض؟

(٦) «أربعون يوماً، يومٌ كسَنَة، ويومٌ كشهر، ويومٌ كجمعة» قال المحدّثون: هذا الحديث على ظاهره وحقيقته، أن الدجال يمكث في الأرض مدة أربعين يوماً، الأيام الثلاثة الأولى طويلة جداً، يومٌ بمقدار سنة، ويوم بمقدار شهر، ويوم بمقدار جمعة، وبقية أيامه كالأيام المعتادة، فالأيامُ الأولى الثلاث تطول بمشيئة الله، ليُفسح له المجال بالفساد والإفساد، ولا يبقى بلدٌ إلّا يدخله، إلّا «مكة» و«المدينة» فإنّ عليهما ملائكة يحرسونهما كما في رواية مسلم، وذهب البعضُ إلى تأويل الحديث، فقال: إن اليوم لا يزاد فيه أصلاً، وإنما هو كناية عن شدة أهواله وفتنته، وقد ردّ القرطبي، وابن الجوزي هذا القول، وأنه لو كان كذلك، لما قال ﷺ: «وسائرُ أيامه كأيامكم» ولا قال: «فاقدروا له قدره» مما يدلُّ دلالة واضحة على طول الأيام حقيقة، والله سبحانه هو المتصرّف في الكون، والمسيّر لدورة الفَلَك.

(٧) «كالغيث استدبرته الريحُ» أي كالمطر هبّت عليه الريح العاصفة.

(٨) «يأتي على القوم فيدعوهم» أي يدعوهم إلى الإيمان بأنه ربهم، ويريهم بعضَ الخوارق، فيؤمنون به ويتبعونه!! وهذا تفصيلٌ للفتنة.

(٩) «فيأمر السماء فتمطر» أي يأمر السماء بالمطر، وليس فيها سحاب، فتمطر عليهم مطراً مدراراً في الحال، ويأمر الأرض وهي قاحلة جرداء، أن تخرج نباتها، فتخرجه وافياً زاهياً بأسرع الزمن، فترجع عليهم سارحتهم أي أنعامهم مملوءة الضروع من كثرة الشبع، وتدرُّ لهم اللّبن.

فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًى، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعاً[١]، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ نَوْلَهُ[٢]، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ[٣]، لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ[٤]، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئاً شَبَاباً، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ[٥] رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ، فَيُقْبِلُ، وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ، شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ[٦]، وَاضِعاً كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ، قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ[٧]، فَلا يَحِلُّ

---

(١) «أطول ما كانت ذُرًى وأسبغه ضروعاً» أي ترجع الإبل والأنعام أملأها ضروعاً باللبن، وأعلاها طولاً من السِّمن.

(٢) «ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردُّون عليه قوله» أي يكذِّبونه ولا يقبلون دعوته، ويثبتون على التوحيد والإيمان، فيصبحون «ممحلين» أي مجدبين لا زرع عندهم ولا ضَرْع، بانقطاع المطر، ويُبس الأرض والكلأ، وهذا من المحنة التي تلحق أهل الإيمان، وفيها الفتنةُ لضعاف الناس.

(٣) «فيصبحون ممحلين» أي لا زرع عندهم ولا نبات ولا ماء.

(٤) «ويمرُّ بالخَرِبة فيقول لها: أخرجي كنوزك» أي يمرُّ على الموضع الخَرِب، والمحلة التي تهدَّم عمرانُها فيقول لها: أخرجي ما في باطنك من الكنوز، فتخرج الكنوز حالاً «كيعاسيب النحل» أي أمثال ذكور النحل تطير بطيران مَلِكتها، وتتبعها حيثما طارت، وهو تشبيه بديع لسرعة خروج الكنوز من الأرض.

(٥) «يضربه بالسيف فيقطعه جِزْلتين» أي يدعو الدجال شاباً مؤمناً، فيقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: أنت المسيحُ الدجال الذي حذَّرنا منه رسول الله ﷺ!! فيضربه بالسيف فيشقُّه نصفين، ويجعله قطعتين ثم يُحييه، ويقول له: أتؤمن بي؟ فيقول الشابُّ: ما ازددتُ فيكَ إلا يقيناً، أنت المسيحُ الدجالُ، فيريد أن ينتله فلا يمكِّنه الله منه، كما جاء في الرواية الأخرى، وهذه من أعظم فتنته، وهي إحياء الميِّت.

(٦) «ينزل بين مهرودتين» أي ينزل عيسى عليه السلام من السماء، بثياب مصبوغة، تحمله الملائكةُ على أجنحتها، حتى ينزل شرقيَّ مدينة دمشق عند المنارة «المأذنة» وهذا نصٌّ صريح على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان.

(٧) «تحدَّر منه جُمان كاللؤلؤ» أي إذا رفع نبيُّ الله عيسى رأسه، تساقط منه الماء، كحبَّات من الفضة، من الصفاء والحُسن، سُمِّي الماءُ جُماناً لشبهه بحبات اللؤلؤ المضيء، فيدرك عيسى الدجَّالَ فيقتله «بباب لُدّ» أي ببلدة قريبة من بيت المقدس، ثم يأتي القوم المؤمنين، الذين لم يُفتَنُوا بدعوة الدجَّال، وبقوا ثابتين على الإيمان، فيمسح عن وجوههم تكريماً لهم، ويخبرهم بدرجاتهم في الجنة لثباتهم على الإيمان.

لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي إِلَى حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ﷺ قَوْماً قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُم بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الجَنَّةِ، فَبَينَما هُوَ كذلكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالى إِلى عِيسَى ﷺ إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَاداً لِي لا يَدان لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ[1]، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلى الطُّورِ[2]، وَيَبْعَثُ اللَّهُ «يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ» وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فيقولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهذِهِ مَرَّةً ماءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى ﷺ وَأَصْحَابُهُ[3]، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ، خَيْراً من مائةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى ﷺ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِلى اللَّهِ تَعَالى، فَيُرْسِلُ اللَّهُ تَعَالى عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى ﷺ وَأَصْحَابُهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِلى الأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ، إِلَّا مَلأَهُ زَهَمُهُمْ ونَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى ﷺ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، إِلى اللَّهِ تعَالى، فَيُرْسِلُ اللَّهُ تَعَالى طَيْراً كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ، فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَطَراً، لا يُكِنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ،

(١) «أخرجتُ عباداً لا يَدَانِ لأحد بقتالهم» أي لا طاقة لأحدٍ بقتالهم، لشدة بأسهم، وقوة بطشهم، وهم «يأجوج ومأجوج».

(٢) «فحرِّزْ عبادي إلى الطور» أي ادفع بهم إلى جبل الطور، ليتحرزوا من شرّ هؤلاء الطغاة المفسدين، ثم يخرج القوم من قبيلة «يأجوج ومأجوج» فلا يمرون على ماء إلّا شربوه، ولا على زرع إلا حصدوه وأكلوه.

(٣) «ويُحصر نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابه» أي يُحصرون في الجبل، فلا يستطيعون النزول إلى الأرض، خوفاً من هؤلاء الهَمَج، ويدعو نبيُّ الله عيسى عليه السلام ويتضرَّع معه المؤمنون لله، أن يُهلك هذه القبائل المتوحشة، ليتخلصوا من شرّهم، فيرسل الله عليهم دوداً أمثال النمل يأخذهم في رقابهم، فيموتون دفعةً واحدة، بدعاء السيد المسيح عليه السلام، ثم يرسل الله طيوراً ضخمة، تحمل أجسامهم فتطرحها في البحر، ويرسل الله مطراً غزيراً، يطهّر الأرض ويغسلها من دنسهم، وتكثر بعدها الخيراتُ والزروعُ والثمار، وبعد ذلك الزمن المبارك، يرسل الله ريحاً طيبة لينة، تقبض أرواح المؤمنين، ويبقى شرار الخلق وعليهم تقوم الساعة، هذه خلاصة «قصة الدجال»، وخروج يأجوج ومأجوج، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ الآيات.

فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ في الرِّسْلِ، حَتَّى إِنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ، لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، واللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كذلِكَ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى رِيحاً طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٠٧ ـ وَعَنْ «رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ» قَالَ: «انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ إِلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَقَالَ لَهُ أَبُو مسعودٍ: حَدِّثْنِي مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في الدَّجَّالِ قَالَ: «إِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ، وَإِنَّ مَعَهُ ماءً وَنَاراً[1]، فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً، فَنَارٌ تُحْرِقُ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَاراً، فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقَعْ في الَّذِي يَرَاهُ نَاراً، فإِنَّهُ ماءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ» فَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُهُ» متفقٌ عَلَيْهِ.

١٨٠٨ ـ وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ في أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ ـ لا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْماً أَرْبَعِينَ شَهْراً، أَوْ أَرْبَعِينَ عَاماً ـ فَيَبْعَثُ اللَّهُ تَعَالى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﷺ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ[2]، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ،

---

(١) «الدجالُ يخرج ومعه ماءٌ ونار» هذا طرف من فتنة الدجال الكبرى، فإنه يظهرُ للناس بوجوهٍ عديدة، وأشكالٍ غريبة، زاعماً أنه الربُّ «ربُّ العالمين» يُري الناسَ كأنَّ معه جنةً وناراً، فمن آمن به أدخله الجنة، ومن لم يؤمن به أدخله النار، هكذا يُخيَّل للناس الأمر بصورة عكسية، فأمَّا جنته فنارٌ تُحرق، وأمَّا نارُه فسرورٌ ونعيم، ولهذا أوصى ﷺ من رأى ذلك منه، أن يقتحم النار التي هي في الواقع جنةٌ ونعيم، ويهرب من الجنة التي هي نار وجحيم... قال الحافظ بن حجر: هذا من فتنته التي امتحنَ اللَّهُ بها عبادَه، ليحقَّ الحقَّ ويُبطلَ الباطل، فإمَّا أن يكون الدجال ساحراً، فيُخيِّل الشيءَ بصورة عكسية، وإمَّا أن يجعلَ اللَّهُ أرضَ الجنة، التي سخَّرها للدجال ناراً، وباطنَ النار جنةً، ويحتمل أن يكون ذلك من جملة المحنة والفتنة، فيرى الناظر ذلك من دهشته، فيظنها جنة وبالعكس، والأول أصح.

(٢) «يبعث اللَّه عيسى فيطلبه فيهلكه» هذا نصٌّ صريح على أن «عيسى عليه السلام»، ينزل من السماء، عند خروج الدجال، ويكون قتل الدجال على يد عيسى عليه السلام، ويمكث في =

عزَّ وَجَلَّ، رِيحاً بارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلا يَبْقَى عَلى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إيمانٍ، إلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ في كَبِدِ جَبَلٍ[١]، لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ، فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ في خِفَّةِ الطَّيْرِ، وَأَحْلامِ السِّبَاعِ، لا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفاً، وَلا يُنْكِرُونَ مُنكراً، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَهُمْ في ذلكَ دَارٌ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ في الصُّوْرِ، فَلا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إلَّا أَصْغَى لِيتاً وَرَفَعَ لِيتاً[٢]، وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إبله[٣]، فَيُصْعَقُ، وَيُصْعَقُ النَّاسُ حوله[٤]، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ أَوْ قالَ: يُنْزِلُ اللَّهُ مَطَراً كَأَنَّهُ الطَّلُّ[٥] أَوِ الظِّلُّ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إلى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ[٦]، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وتِسْعِينَ، فذلكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً، وذلكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»[٧] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«اللِّيتُ» صَفْحَةُ العُنُقِ، وَمَعْنَاهُ: يَضَعُ صَفْحَةَ عُنُقِهِ وَيَرْفَعُ صَفْحَتَهُ الأُخْرَى.

= الأرض بعد نزوله أربعين سنة، إماماً عادلاً، وحَكَماً مقسطاً، وتكثر في زمانه الخيرات، وتفيضُ البركات، وتصبح المودةُ بين قلوب المؤمنين، ليس بين اثنين منهم عداوة، ثم بعد موت عيسى، يرجع الناس إلى الكفر والضلال، وهم شرار الناس وعليهم تقوم الساعةُ، كما جاء في الحديث الصحيح: «لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول: الله الله».

(١) «دخل في كبد جبل» أي دخل في جوف الجبل واختبأ به.

(٢) «أصغى لِيتاً ورفع لِيتاً» أي أمال صفحة عُنُقه، ورفع صفحته الأخرى، من هول ما يسمع، واللِّيتُ بكسر اللام: صفحةُ العنق.

(٣) «يَلُوطُ حَوْضَ إبله» أي يُصلح حوض الإبل بالطين أي يُليّسه.

(٤) «فَيُصْعَقُ ويُصْعَقُ الناسُ حوله» أي يقع ميتاً ويموت الناسُ حوله.

(٥) «مطراً كأنه الطَّلُّ» أي يُنزل الله مطراً كمنيّ الرجال على الأرض، فتنبتُ منه أجسادُ الناس، ويُساقون إلى أرض المحشر.

(٦) «أخرجوا بَعْثَ النار» أي أخرجوا المجرمين المستحقّين لعذاب جهنم، وافصلوهم عن المؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿وامْتَازُوا اليَوْمَ أَيُّهَا المُجْرِمُونَ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾.

(٧) «وذلك يومُ يكشف عن ساق» أي تكشف القيامة عن شدائدها وأهوالها، ويتمنى الكفار الفجار، أن يعودوا إلى الدنيا ليعبدوا ربهم، ويصلحوا أعمالهم.

١٨٠٩ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ[1]، إِلَّا «مَكَّةَ» وَ«المَدِينَةَ» وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا، إِلَّا عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهُمَا، فَيَنْزِلُ بِالسَّبْخَةِ، فَتَرْجُفُ المَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، يُخْرِجُ اللَّهُ مِنْهَا كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨١٠ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفاً عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨١١ ـ وَعَنْ أُمِّ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَيَنْفِرَنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الجِبَالِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨١٢ ـ وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ ﷺ يَقُولُ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨١٣ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ، فَيَتَلَقَّاهُ المَسَالِحُ: «مَسَالِحُ الدَّجَّالِ»[2]، فَيَقُولُونَ لَهُ: إِلَى أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيَقُولُ ما بِرَبِّنَا خَفَاءٌ[3]، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَداً دُونَهُ، فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ، فَإِذَا رَآهُ المُؤْمِنُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشْبَحُ[4]، فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ، فَيُوسَعُ

---

(١) «إلا سيطؤه الدجال» أي لا يبقى بلدٌ من البُلْدان، إلا سيدخُله الدجال، ويتبعه فيها خلق كثير، إلا مكة والمدينة فإن عليها حَرَساً من الملائكة، يطردونه عن دخولهما، كرامةً من الله عزّ وجلّ للحرمين الشريفين، وأما بقية البلاد فيدخلها الدجال، وينشر فيها أكبر جريمةٍ وفساد، ألا وهي «ادعاؤه الربوبية»، ويتبعه من يهود أصبهان فقط «سبعون ألفاً» في رواية مسلم.

(٢) «فتتلقاه مسالح الدجال» أي تتلقاه طلائعُ جند الدجال، فيقولون له أين تقصد؟ فيجيبهم أقصد إلى هذا الذي يزعم الربوبية.

(٣) «ما بربنا خفاء» أي إن أوصاف الرب الجليل، ظاهرة لا خفاء فيها، والدجّال منظره يدلُّ على كذبه، حيث إنه أعور.

(٤) «فيأمر به الدجّال فيشبّح» أي يُمدُّ على بطنه، ثم يُضرب ضرباً شديداً، حتى يؤمن بالدجال أنه ربٌّ وإله، فيصبر المؤمن على العذاب، وهو يكرّر قوله: أنت المسيحُ الدجال الذي حذّرنا منه رسولُ الله ﷺ، فيأمر به الدجال أن يُنشر بالمنشار، فيُنشر حتى يصبح قطعتين، =

ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْباً، فيقولُ: أوَ مَا تُؤمِنُ بي؟ فَيقُولُ: أنْتَ المَسِيحُ الكَذَّابُ! فَيُؤمَرُ بِهِ، فَيُؤشَرُ بالمِنْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يقولُ لَهُ: قُمْ، فَيَسْتَوِي قَائماً، ثُمَّ يقولُ لَهُ: أتؤمِنُ بي؟ فيقولُ: مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إلَّا بَصِيرَةً!! ثُمَّ يَقُولُ: يَا أيُّهَا النَّاسُ إنَّهُ لا يَفْعَلُ بَعْدِي بأحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَيَأخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إلى تَرْقُوَتِهِ نُحَاساً، فَلا يَسْتَطِيعُ إلَيْهِ سَبيلاً، فَيَأخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسَبُ النَّاسُ أنَّما قَذَفَهُ إلى النَّارِ، وَإنَّمَا أُلْقِيَ في الجَنَّةِ، فقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هذا أعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وروى البخاريُّ بَعْضَهُ بمَعْنَاهُ. «المَسَالِحُ»: هُمُ الخُفَرَاءُ وَالطَّلائِعُ.

١٨١٤ ـ وعَنِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «ما سَأَلَ أحَدٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الدَّجَّالِ، أكْثَرَ مِمَّا سألْتُهُ، وَإنَّهُ قالَ لي: مَا يَضُرُّكَ؟ قلتُ: إنَّهُمْ يَقُولُونَ: إنَّ مَعَهُ جَبَلَ خُبْزٍ، وَنَهْرَ مَاءٍ، قالَ: هُوَ أهْوَنُ عَلى اللَّهِ مِنْ ذلِكَ»(١) مُتَّفَقٌ عليه.

١٨١٥ ـ وعَنْ أنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ

= ثم يقول له: كن حياً فيحيا بإذن الله، فيعرض عليه أن يؤمن به بأنه ربٌّ، فيقول المؤمن: لم أزدد إلَّا يقيناً بأنك الدجال، فيأخذه ليذبحه فلا يُمكَّن منه، فيأخذه فيلقي به في النار، التي يصوِّر للناس أنها نارٌ، وهي في الحقيقة جنة، لأن هذا التخييل إنما هو من شعوذته ودجله، وهذا المؤمن أرفع الشهداء درجة عند الله، لأنه جهر بالحق عند الظالم الفاجر الكافر، كما وضَّحه ﷺ.

وهذا المؤمن من أهل المدينة المنورة، كما جاء في صحيح البخاري، ولفظه «يأتي الدجّالُ وهو محرَّمٌ عليه أن يدخل نِقاب ـ أي طُرُق وسِكَك ـ المدينة، فيدخل بعضَ السِّباخ ـ أي الأراضي الرملية التي لا تُنبتُ الزرع لملوحتها ـ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذٍ رجل، هو خيرُ الناس فيقول له: أشهدُ أنك الدجّال الذي حدَّثنا رسول الله ﷺ حديثه!! فيقول الدجّال: أرأيتم إن قتلتُ هذا، ثم أحييتُه، هل تشكُّون في الأمر؟ ـ يعني أمر ربوبيَّته ـ فيقولون: لا، فيقتله ثم يُحييه، فيقول المؤمن: والله ما كنت فيك أشدَّ بصيرةً من اليوم، فيريد الدجال أن يقتله فلا يُسلَّط عليه».

(١) «هو أهونُ على الله من ذلك» أي الدجّالُ أهونُ على الله تعالى، من أن يجعل ما يُظهره على يديه من الخوارق، مضلّاً للمؤمنين، ومنكِّكاً لقلوب المؤمنين، وليس معناه ليس معه جبال من خبز ولحم، ونهر من ماء، للأحاديث التي وردت بأن معه الطعام والأنهار.

إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ[1]، أَلا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨١٦ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلا أُحَدِّثُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ، مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ! إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثَالِ الجَنَّةِ والنَّارِ، فالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الجَنَّةُ هِيَ النَّارُ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨١٧ ـ وعَن ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ الدَّجَّالَ بَيْنَ ظَهْرَانَيِ النَّاسِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلا إِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طافِيَةٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨١٨ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ المُسْلِمُونَ اليَهُودَ[2]، حَتَّى يَخْتَبِيءَ اليَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الحَجَرِ

---

(١) «ما من نبي إلّا أنذر أمته الأعور الكذاب» يعني الدجّال، وذلك لشدة فتنته الكبرى على البشر، حتى تضافرت جهود جميع الأنبياء، على تحذير أممهم من فتنته، وقد نبّه ﷺ أمته على علامة ظاهرة قاطعة، تشير إلى كذبه وهي «أنه أعور العين اليمنى، كأن عينه عِنَبَةٌ طافية ـ أي مارقةٌ إلى الأمام ـ مكتوبٌ بين عينيه: كافرٌ، يقرؤها كلُّ مؤمنٍ ومؤمنة» الحديث. وهذه العلامة تكفي كلّ عاقل، أنه كاذب في دعوى الربوبية، فإن الربَّ جلّ وعلا متصفٌ بكل صفات الكمال، منزّه عن النقص، فكيف يكون الدجال ربًا، وهو أعور العين، ظاهر فيه ذلك كل الظهور؟

(٢) «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود» هذا من أعلام النبوة، فقد أخبر ﷺ عن إحدى علامات الساعة الكبرى، وهو القتال الذي يحصل بين المسلمين واليهود، وقد بدت طلائعه، بتدفق اليهود من أقطار العالم، واجتماع هذه الشرذمة الطاغية الباغية من الصهاينة في أرض فلسطين، وما كان يدور بخُلْد إنسان أن تحصل هذه المعركة بين المسلمين واليهود، لأنهم مشتّتون في أنحاء المعمورة، فكيف يقاتلهم المسلمون وهم في «روسيا، وأمريكا، وانجلترا، وفرنسا، وألمانيا» وشتى أنحاء العالم؟ ولكنهم الآن تجمّعوا في فلسطين، ليذبحوا على أيدي المسلمين إن شاء الله، وتتحقق معجزة الرسول ﷺ بحدوث «المعركة الفاصلة» التي ينتصر فيها المسلمون على اليهود، وكرامة من الله للمؤمنين، يُنطق الله الشجر والحجر، فيتكلم ويقول: يا مسلمُ، يا عبد الله، هذا يهودي ورائي، تعال فاقتله، إلا شجر الغرقد ـ وهو شجر كثير الشوك ـ لا ينطق، ولا يدلُّ على اليهود، لأنه من شجرهم خبيث مثلهم، ولا بد أن تقع هذه المعركة، لأنها إحدى علامات الساعة الكبرى، وهي خبر قاطع صادق ممن لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾!!

وَالشَّجَر، فَيَقُولُ الحَجَرُ والشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ هذا يَهودِيُّ خَلْفِي تَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إلَّا الغَرْقَدَ فإنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليَهُودِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨١٩ ـ وعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «والذِي نَفْسي بِيَدِهِ لا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِالقَبْرِ، فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ[١]، ويقولُ: يَا لَيْتَني مَكَانَ صَاحِبِ هذا القَبْرِ، وَلَيس بِهِ الدِّينُ، ما بِهِ إلَّا البَلاءُ»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٢٠ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، يُقْتَتَلُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مائَةٍ تِسْعَةٌ وتِسْعُونَ، فَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَنْ أَكُونَ أَنَا أَنْجُو».

وفي رواية: «يُوشِكُ أَنْ يَحْسِرَ الفُرَاتُ عَن كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ[٣]، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيئاً» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٢١ ـ وعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَتْرُكُونَ المَدِينَةَ عَلى خَيْرِ مَا كَانَتْ، لا يَغْشَاهَا إلَّا العَوَافِي[٤] ـ يُرِيدُ: عَوَافِيَ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ ـ وَآخِرُ مَنْ يُحْشَرُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ يُرِيدَانِ المَدِينَةَ يَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا فَيَجِدَانِهَا وُحُوشاً، حَتَّى إذا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الوَدَاعِ خَرَّا عَلى وُجُوهِهِمَا» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٢٢ ـ وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَكُونُ خَلِيفَةٌ مِنْ خُلَفَائِكُمْ في آخِرِ الزَّمَانِ يَحْثُو المَالَ وَلا يَعُدُّهُ»[٥] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «يمرُّ الرجل بالقبر فيتمرَّغ عليه» أي يتقلَّبُ عليه من شدة ما أصابه من البلاء، ويقول: يا ليتني كنتُ مكانه!!

(٢) «وليس به الدِّينُ، ما بِهِ إلا البَلاء» أي ليس سببُ تمنِّيه الموت، لأمر ديني يخشى عليه، إنما لكثرة تتابع المحن والشدائد الدنيوية عليه، من الظلم، والبغي، وتسلُّط زبانية الحُكَّام على البشر، وانعدام الأمن والاستقرار في البلاد، وغير ذلك من ألوان البلاء.

(٣) «يوشك أن يَحسر الفرات عن كنزٍ من ذهب» هذا أيضاً من علامات الساعة الكبرى، وهو أن ينكشف نهرُ الفرات عن كنوز ثمينة من الذهب ـ وفي بعض الروايات ـ عن جبل من ذهب، فيقتتل عليه الناس، ويكثر بسبب ذلك الهَرْجُ والمَرْجُ، وقد حذَّر ﷺ أمَّته عن الانخراط مع الطامعين، في الحصول على الكنز الثمين، لأن المسلم قد يُقتل بسببه، والقتلى يكونون كثرةً كثيرة، بحيث لا ينجو من مائة إلَّا واحد، فمن اجتنب هذه الفتنا، سلم في نفسه، وسلم منه غيره.

(٤) «لا يغشاها إلا العوافي» أي لا يقصدها إلا السباع والطيور.

(٥) «يحثو المال ولا يعدُّه» أي من كثرة المال وولرته، يعطيه للناس بلا عدٍّ ولا حساب.

١٨٢٣ ـ وَعَنْ أبي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلى النَّاس زَمَانٌ، يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ[1]، فَلا يَجِدُ أَحَداً يَأْخُذُهَا مِنْهُ، وَيُرَى الرَّجُلُ الوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرأَةً، يَلُذْنَ بِهِ، مِنْ قِلَّةِ الرِّجالِ، وَكَثْرَةِ النِّساءِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٢٤ ـ وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَاراً[2]، فَوَجَدَ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ في عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فقالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ، وَلَمْ أَشْتَرِ الذَّهَبَ، وقالَ الَّذي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّما بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلى رَجُلٍ، فقالَ الَّذي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قالَ أَحَدُهُمَا: لي غُلامٌ، وقالَ الآخرُ: لي جَارِيَةٌ، قالَ: أَنْكِحَا الغُلامَ الجَارِيَةَ، وَأَنْفِقُوا عَلى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وتَصَدَّقَا» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «يطوف الرجل بالصدقة فلا يجد أحداً يأخذها» وذلك لكثرة المال وفَيَضانه، وإخراج الأرض كنوزها، حتى لا يجد من يقبل المال، وقد ظهرت أولى بوادر هذا الثراء الفاحش، بتدفق البترول، وامتلاك البعض لآلاف الملايين، بعد أن كانوا فقراء معدَمين، وانتشار المباني الضخمة «ناطحات السحاب» في الجزيرة العربية، بعد أن كان أصحابها يعيشون في أمثال «العُشش» من أشجار النخيل، وأصبحوا يمتلكون من المال، ما لا يخطر على البال، وكلُّ ذلك من أشراط الساعة كما قال الصادق المصدوق عن بعض علاماتها «وأن ترى الحُفاة العُراة، رُعاة الشاء ـ أي رعاة الغنم ـ يتطاولون في البنيان»!! أفلا يزيد إيمان الإنسان، بما يراه بعينيه من صدق هذا الرسول الكريم ﷺ فيما أخبر عنه، وهو يشاهد هذه الأبراج!؟

(٢) «اشترى رجل عقاراً فوجد فيه جرة فيها ذهب» هذا الحديث وأمثاله، يدلنا على أنه لا يخلو زمن من الأزمان، عن وجود أمناء شرفاء، يستمسكون بدين الله، فالرجل الذي اشترى حديقةً من رجلٍ آخر، وأثناء حفر مكانٍ فيها، وجد جرة مملوءةً بالذهب ـ وهو شيء كبير يسيل له لُعابُ كثير من الناس ـ شعر بأن هذا الذهب ليس حقَّه، فحمله وأراد أن يردَّه إلى البائع، وقال له: خذ ذهبك فإنما اشتريتُ منك الأرض، ولم أشتر منك الذهب!! ولكنَّ البائع كان عنده من صدق الشعور بالأمانة الدينية، أن البيع قد خرج من ملكه، وأصبح ملكاً للمشتري، فلا يحقُّ له أن يستردَّ شيئاً من المبيع، حتى ولو أنَّ فيها كنزاً ثميناً من الذهب، فقال لصاحبه: هذا مالُك، وهذا حظُّك، فأنا بعتك الحديقة ولم أدر ما فيها، فالحديقة وما فيها هي لك! وهذه والله منتهى الأمانة والوفاء، أن يصدر من كل واحد منهما، ما يدلُّ على الالتزام والرضى بموجب العقد الشرعي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ وكانت نهاية هذه القصة العجيبة، أن يتصالحا على أن يُزوِّج البائع ابنته لغلام المشتري، ويتفقا من هذا الذهب على العروسين، وكان حلاً أرضى الطرفين.

١٨٢٥ ـ وعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فقالتْ لصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وقالت الأُخرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بابْنِكِ، فَتَحَاكَمَا إِلى دَاوُدَ ﷺ فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلى سُلَيْمَانَ بنِ داودَ ﷺ، فأَخْبَرَتَاهُ، فقالَ: ائْتُوني بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا[1]، فقالت الصُّغْرَى: لا تَفْعَلْ ـ رَحِمَكَ اللَّه ـ هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٢٦ ـ وعَنْ مِرْدَاسٍ الأسلميِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ: «يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ، الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَتَبْقَى حُثَالَةٌ كَحُثَالَةِ الشَّعِيرِ، أَوِ التَّمْرِ[2]، لا يُبَالِيهِمُ اللَّهُ بَالَةً»[3] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٨٢٧ ـ وعَنْ «رِفاعَةَ بْنِ رَافِعٍ» الزُّرَقِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «جاءَ جِبْرِيلُ إِلى النَّبِيِّ ﷺ قالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ

---

(١) «ائتوني بالسكين أشقه بينهما» استخرج سيدنا سليمان عليه السلام بأحد وجوه «الحيلة الوهمية» التي عرضها على المرأتين، وهي قوله: «ائتوني بالسكين أشقُّ الغلام بينهما نصفين» على أن الغلام هو للصغرى، لأنها سارعت إلى الإنكار عليه، وقالت: «لا تفعل ذلك يرحمك الله، هو ابنُها» وأمَّا الكبرى فسكتت، فعرف أن الغلام للصغرى، فحكم به لها، ومعلومٌ أن سليمان لم يكن ليقسم الغلام بينهما، لأنه يموت بشقِّه بينهما نصفين، ولكنَّها الحيلة الذكية لمعرفة صاحبة الولد.
ودلت هذه القصة، على أن الفطنة والفهم، موهبةٌ من الله تعالى، لا تتعلَّق بكبَر سِنٍّ ولا بصِغَره، فداود عليه السلام حكم بالاجتهاد بحسب الظاهر، أن المرأة الكبرى هي والدةُ الطفل، لأنها تحمل وتلد، بينما الصغرى لا تحمل في الغالب، فلذلك حكم به للكبرى، وأما سليمان عليه السلام، فسلك طريق الحيلة لمعرفة الوالدة الحقيقية للطفل، ودلَّ سكوتُ الكبرى على أن الولد ليس لها، ولو كان لها، لسارعت في الإنكار كما فعلت الصغرى!

(٢) «وتبقى حُثالةٌ كحُثَالة الشعير أو التمر» أي يموت الصالحون تِباعاً، ويبقى شرارُ الناس وأراذلُهم، وهم الحُثالة، أي: الرديء والقبيح من كل شيء، الذي يشبه الرديء من الشعير أو التمر.

(٣) «لا يباليهم الله بالة» أي لا يكترث الله بهم، فلا يقيم لهم وزناً، ولا يرفع لهم قدراً، والحديث فيه إخبار عن انقراض أهل الخير في آخر الزمان، حتى لا يبقى إلَّا أهلُ الشرِّ والفجور، ويكون سيد القوم أرذلهم، وكما قال الشاعر:

لا يَصْلُحُ النَّاسُ فوضَى لا سَرَاةَ لهم ... ولا سَرَاةَ إذا جُهَّالُهم سَادُوا

كَلِمَةً نَحْوَهَا، قالَ: وكذلكَ مَن شَهِد بَدْراً مِنَ المَلائِكَةِ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

١٨٢٨ ـ وعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعالى بِقَوْمٍ عَذَاباً، أَصَابَ العَذَابُ مَنْ كانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلى أَعْمَالِهِمْ»[١] مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٨٢٩ ـ وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «كانَ جِذْعٌ يَقُومُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ ـ يَعْنِي في الخُطْبَةِ ـ فلما وُضِعَ المِنْبَرُ، سَمِعْنَا لِلْجِذْعِ مِثْلَ صَوْتِ العِشَارِ[٢] حَتَّى نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَه عَلَيْهِ فَسَكَنَ».

وفي روايةٍ: «فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الجمُعَةِ قَعَد النَّبِيُّ ﷺ على المِنْبَرِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَنْشَقَّ».

وفي روايةٍ: «فَصَاحَتْ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، فَنَزَلَ النبيُّ ﷺ، حَتَّى أَخَذَهَا فَضَمَّهَا إِلَيْهِ، فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ، الَّذِي يُسَكَّتُ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ، قالَ: بَكَتْ عَلى مَا كَانَتْ تسمَعُ مِنَ الذِّكْرِ» رَوَاهُ البخاري.

١٨٣٠ ـ وَعنْ أبي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ «جُرْثُوم بْنِ نَاشِرٍ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قالَ: «إن اللَّهَ تَعَالى فَرَضَ فَرائِضَ فَلا تُضَيِّعُوهَا[٣]، وَحَدَّ حُدُوداً فَلا تَعْتَدُوهَا[٤]، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ[٥]، فَلا تَبْحَثُوا عَنها» حديثٌ حسن، رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِي وَغَيْرُهُ.

---

(١) «ثم بُعثوا على أعمالهم» إذا نزل العذاب بقوم، من زلزالٍ، وغَرَق، وحَرْق، وأمثال ذلك من الأعاصير والفيضانات، أصاب القوم جميعاً، مؤمنهم وكافرهم، وبرّهم وفاجرهم، ثم يُبعثون يوم القيامة على نياتهم وأعمالهم، فالمؤمن في الجنة، والكافر في الجحيم.

(٢) «سمعنا للجِذْعِ مِثْلَ صَوْتِ العِشَارِ» هذا جذعٌ من لنخيل كان يخطب عليه ﷺ، فلما صُنع له المنبر، حنّ له الجِذْعُ، حنين الناقة إلى ولدها، وسمع الصحابة أنينها وحنينها، وكان هذا من المعجزات الساطعات، فإذا كان الجذع قد حنّ إلى رسول الله ﷺ فكيف لا تحنُّ له قلوبُ المؤمنين!!

(٣) «إن الله فرض فرائض فلا تُضيّعوها» أي كلّف عباده المؤمنين بتكاليف شرعية، كالصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، فلا تُضيّعوا أوامر الله، بالتساهل في أدائها، أو تركها بالكليّة.

(٤) «وحدّ حدوداً فلا تعتدوها» أي شرع عقوبات لمن انتهك محارم الله، كحدّ الزنى، وحد السرقة، وحدّ القذف، فلا تجاوزوا هذه الحدود، وحدودُ الله هي: أحكامه، وأوامره، ونواهيه.

(٥) «وسكتَ عن أشياءَ رحمةً لكم» أي سكت عن أمور، فلم يُبيّن حكمها أهي حلال أم حرام؟ رحمةً بالعباد، فلا تبحثوا عنها، قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾.

١٨٣١ ـ وَعنْ عَبْدِ اللَّهِ بن أَبي أَوْفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: «غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ نَأْكُلُ الجَرَادَ».

وفي روايةٍ: «نَأْكُلُ مَعَهُ الجَرَادَ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٣٢ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «لا يُلْدَغُ المُؤْمِنُ من جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ»[1] مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٨٣٣ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالفَلَاةِ، يَمْنَعُهُ مِنِ ابْنِ السَّبِيلِ[2]، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلاً سِلْعَةً، بَعْدَ العَصْرِ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ لأَخَذَهَا بِكَذَا وكَذَا، فَصَدَّقَهُ، وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذلِكَ[3]، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَاماً لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا[4]، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ» متَّفقٌ عليهِ.

١٨٣٤ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْماً؟ قالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ قَالُوا: أَرْبَعُون شَهْراً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، وَيَبْلَى كُلُّ شَيءٍ مِنَ الإِنْسَانِ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ[5]، فيهِ يُرَكَّبُ الخَلْقُ، ثُمَّ يُنَزِّلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ» متَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) «لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرتين» هذا تمثيلٌ بديع، جرى مجرى الأمثال التي عرفها الناسُ، وتناقلوها بينهم، أي لا ينبغي للمؤمن أن يكون مغفَّلاً ساذَجاً، يُخدعُ مرةً بعد أخرى، بل يجب أن يكون حَذِراً فَطِناً، إذا وقع في ورطةٍ، أو خدعه أحد، لا يعود للوقوع فيها مرةً أخرى، والمغفَّل من لُدغ مراراً.

(٢) «يمنعه من ابن السبيل» أي معه ماء فاضل عن حاجته، يمنعه للمسافر المحتاج إلى الماء، في أرضٍ خاوية ليس فيها ماء.

(٣) «فحلف بالله لأخذها بكذا وهو على غير ذلك» أي حلف بالله يميناً فاجرة أنه اشتراها بكذا وكذا، ليخدع المشتري، وهو كاذب في قوله.

(٤) «بايع إماماً لا يبايعه إلّا لدنيا» أي أعطى الإمام البيعة على السمع والطاعة، من أجل المغنم الدنيوي، فإن نال مبتغاه استمرَّ على طاعته، وإلّا انتقض عليه وشقَّ عصا الطاعة، وإنما كان عقابه شديداً، لما فيه من تسبُّب في إثارة الفتنة.

(٥) «إلّا عَجْبَ الذَّنَبِ» أي كلُّ شيء يبلى في الإنسان بعد موته، إلّا العظم الدقيق في أسفل ـ

١٨٣٥ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ في مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ[1]؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ، فَكَرِهَ ما قالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ، قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟ قال: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ! قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»[2] رَوَاهُ البُخاري.

١٨٣٦ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُصَلُّونَ لَكُمْ[3]، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ [ولهم]، وَإِنْ أَخْطَؤُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ» رَوَاهُ البُخاريُّ.

١٨٣٧ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١١٠] قَالَ: خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ يَأْتُونَ بِهِمْ في السَّلاسِلِ[4] في أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا في الإِسْلَامِ.

= الصُّلب، هو الذي يبقى منه، ليعاد تركيبُ الخلق عليه، ثم يُنْزِلُ اللَّهُ مطراً من السماء، فينبتُ الخلقُ كما ينبت النباتُ من الأرض، وكأن هذا المطر المدرار، يُلقِّح عَجْب الذَّنَب، فينبتُ منه البشر، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ، ثُمَّ رَزَقَكُمْ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ..﴾ [الروم ٤٠] وبين النفختين أربعون سنة، كما في صحيح مسلم.

(١) «متى الساعة»؟ أي متى تكون نهاية الدنيا، ومجيء القيامة، وموتُ جميع البشر؟

(٢) «إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غير أهله فانتظرِ السَّاعة» أي أُسندت أمورُ الناس إلى غير من هو أهلٌ لها، فانتظر خراب الدنيا، ومجيء الساعة، مثل أن يُسند إلى الجاهل أمور الفُتْيا، وأن تكون الإدارات والوزارات بأيدي السَّفلة والجهلة، ومثلُ أن يُؤتمن الخائنُ ويُخوَّن الأمين، قال الشعر:

لا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لا سَرَاةَ لهم ولا سَرَاةَ إذا جُهَّالُهم سَادُوا

«لا سَرَاةَ» أي لا قادة ولا أمراء صلحاء يسوسونهم، ويديرون شؤونهم.

(٣) «يُصَلُّون لكم فإن أصابوا فلكم» الضمير يعود على الأئمة الذين يحكمون المسلمين، فإن أصابوا في صلاتهم وجه الحقّ، كان لكم ولهم الأجر، وإن أخطأوا لعدم معرفتهم أمور الدين، كان لكم الأجرُ، وعليهم الوزرُ، وكأنه ﷺ يوصي بعدم الخروج من الطاعة، ما دام الحكام مسلمين، وهم ملتزمون بتطبيق شريعة الله، وإلَّا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

(٤) «خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل» هذا تفسير من أبي هريرة للآية الكريمة ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وهو حديث موقوف عليه، والمعنى: أنتم خيرُ الأمم، وأنفعُ الناس للناس، تجاهدون لإعلاء كلمة الله. فيقع في أيديكم أسرى، تضعون في أيديهم السلاسل، ثم يُسلمون بعد ذلك، فيكون أسركم لهم سبباً لسعادتهم ودخولهم في دين الإسلام، ويؤيد هذا المعنى حديث البخاري «عجب ربك من قوم يدخلون الجنة في

١٨٣٨ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عَجِبَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَوْمٍ، يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ في السَّلاسِلِ» رَوَاهُما البُخاري.

معناهُ: يُؤْسَرُونَ وَيُقَيَّدُونَ، ثُمَّ يُسْلِمُونَ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ.

١٨٣٩ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَحَبُّ البِلَادِ إلى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا[(١)]، وَأَبْغَضُ البِلَادِ إلى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا»[(٢)] رَوَاهُ مُسلم.

١٨٤٠ ـ وَعَنْ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ قَولِهِ قَالَ: «لَا تَكُونَنَّ[(٣)] إنِ اسْتَطَعْتَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصُبُ رَايَتَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ هكذا.

وَرَوَاهُ البَرْقَانِيُّ في صحيحه عَنْ سَلْمَانَ قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تَكُنْ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السوق، وَلا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فِيهَا بَاضَ الشَّيْطَانُ وَفَرَّخَ»[(٤)].

١٨٤١ ـ وَعَنْ «عَاصِمِ الأَحْوَلِ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ، قَالَ: ولَكَ، قَالَ عَاصِمٌ: فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَغْفَرَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ وَلَكَ، ثُمَّ تَلَا هذِهِ الآيَةَ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩] رَوَاهُ مُسلم.

= السلاسل» أي بسبب السلاسل، يُؤسرون ويُربطون بالسلاسل، ثم يُسْلمون فيدخلون الجنة، فالأسرُ الذي هو نقمة، يصبح سبباً للنعمة، ألَا وهو «دخولُ الجنة».

(١) «أحبُّ البلادِ إلى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا» البلادُ يُراد بها الأراضي والأماكن، سواءٌ كانت عامرةً أو خالية، أي أحبُّ الأماكن والبقاع إلى اللَّهِ مساجدُها، لأنها أماكنُ عبادة، وذكر، وطاعة، وتلاوةٍ للذكر الحكيم ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ﴾ وهي منارات للعلم والهدى

(٢) «وأبغضُ البلادِ إلى اللَّهِ أسواقُها» أي أخسُّ البقاع والأماكن عند اللَّه الأسواق، لأن فيها يحدث الخِدَاعُ، والكَذِبُ، والغشُّ، وإخلافُ الوعدِ، وقلَّةُ ذكر اللَّه، وبها يرفعُ الشيطانُ رايته، وفي الحديث الشريف «يا معشرَ التُّجَّار، إن التُّجَّارَ يُحشرون يوم القيامة فُجَّاراً، إلَّا من اتقى اللَّهَ وَبرَّ وصَدَق».

(٣) «لا تكونَنَّ» حديث موقوف على سلمان، ولهذا قال «من قوله».

(٤) «فيها باضَ الشيطانُ وفَرَّخ» هذه كنايةٌ لطيفةٌ عن تلاعب الشيطان بالناس، فإنَّ الأسواق محلُّ المعاصي، والنظر إلى المحرَّمات، وفيها الغشُّ، والخداعُ، والأيمانُ الكاذبة، والأقوالُ والأفعالُ المنكرة، وهذه الأمورُ محبوبةٌ عند الشيطان، ولذلك كانت أبغض الأماكن عند اللَّه، وما أكثر ما يجري من المنكرات فيها!!

١٨٤٢ ـ وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى[١] إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»[٢] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٨٤٣ ـ وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ»[٣] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

١٨٤٤ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ[٤]، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٤٥ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ خُلُقُ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ» رَوَاهُ مُسْلِم فِي جُمْلَةِ حَدِيثٍ طَوِيلٍ.

١٨٤٦ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ

---

(١) «أدرك الناس من كلام النبوة الأولى» أي وصل إليهم من كلام الأنبياء السابقين، ممّا هو من بدائع الأقوال والأمثال النبوية.

(٢) «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» أي إذا نُزع منك الحياء، فافعل ما شئت من القبائح!! وهذا ليس لإباحة ما يفعل، وإنما هو مساق للوعيد والتهديد، كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وقد جرى هذا القولُ البديعُ مجرى الأمثال، فيقال: إذا لم تستح فاصنع ما تشاء، قال الشاعر:

فَلَا واللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ ... ولا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ

يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ ... وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللِّحَاءُ

وقال آخر:

لَا تَلُومَنَّ فِي الشَّقَاهَةِ أَعْمَى ... فَمَكَانُ الْحَيَاءِ مِنْهُ خَرَابُ

(٣) «أول ما يُقضَى يومَ القيامة في الدماء» أي أوّل ما يُفصل به، بين المتخاصمين يوم القيامة، أمرُ الدماء، يعني «القتل» ذلك لأنه أعظم الذنوب عند الله بعد الشرك، وقد جاء في الحديث الصحيح «لَزَوالُ الدنيا أهْوَنُ عندَ الله من قتل مسلم بغير حقٍّ» وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾ والذنبُ يعظُم بحسب عظيم المفسدة، وقتلُ الإنسان هدمٌ للبنية التي خلقها الله.

(٤) «وخُلِقَ الجانُّ من مَارِج من نار» أي خُلقت الجنُّ من لهب خالص من النار، اختلط بعضُه ببعض، أحمرَ وأصفرَ وأخضر، والنصُّ صريح في أن إبليس لم يكن من الملائكة، لأن الملائكة خُلقت من نور، كما جاء في أول الحديث، وإبليسُ يقول بصريح العبارة ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ والنار غير النور، فكيف يكون من الملائكة؟

لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ المَوْتَ[١]! قَالَ: لَيْسَ كَذَلِكَ[٢]، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ، أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٤٧ ـ وَعَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ «صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَكِفاً، فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلاً، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ لأَنْقَلِبَ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي، فَمَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ ﷺ: عَلَى رِسْلِكُمَا[٣] إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ، فَقَالاَ: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ[٤]! فَقَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِن ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ[٥]، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَراً، أَوْ قَالَ: شَيْئاً» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٤٨ ـ وَعَنْ أَبِي الفَضْلِ «العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ، فَلَمَّا الْتَقَى المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ، وَلَّى المُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ[٦]، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الكُفَّارِ، وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ

---

(١) «كُلّنا نكره الموتَ» تريد عائشة أنَّ جميع الخلق يكرهون الموت بحسب الطبع، فكيف تقول: من أحبَّ لقاء الله، أحبَّ الله لقاءه؟

(٢) «ليس كذلك» أي ليس الأمرُ كما ظننت!! ولكنَّ المؤمن إذا دنت وفاته، بشرّته الملائكةُ برحمة الله ورضوانه، فأحبَّ لقاء الله، فأحبَّ الله لقاءه، وليس أمر الكافر كذلك، قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾.

(٣) «على رِسْلِكُما إنها صَفِيَّةُ» أي على مَهْلِ منكما في المشي، إنها «صفيّة» زوجتي أتحدث معها!!

(٤) «فقالا سبحان الله» أي يا سبحان الله، وهل نظنُّ بك سوءً يا رسول الله؟.

(٥) «فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» أي يجري في الإنسان مجرى العروق في الدم بوسوسته، وقد خشيتُ أن يلقي في قلوبكما شراً.

(٦) «ولّى المسلمون مدبرين» أي انهزموا أمام المشركين، وذلك حين اغترَّ المسلمون بكثرتهم فقالوا: لن نُغْلَبَ اليوم من قلة، وذلك في حنين، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً..﴾.

لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيْ عَبَّاسُ: نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ[1]، قَالَ الْعَبَّاسُ وَكَانَ رَجُلاً صَيِّتاً: فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ، فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ، حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي، عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا[2]، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ، فَاقْتَتَلُوا هُمْ وَالْكُفَّارَ، وَالدَّعْوَةُ فِي الْأَنْصَارِ، يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ، كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ فَقَالَ: هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ[3]، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَصَيَاتٍ، فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ[4]، فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلاً، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِراً»[5] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«الْوَطِيسُ»: التَّنُّورُ، وَمَعْنَاهُ: اشْتَدَّتِ الْحَرْبُ، وَقَوْلُهُ: «حَدَّهُمْ» أَيْ: بَأْسَهُمْ.

١٨٤٩ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ[6] لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً[7]، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ، بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ

---

(١) «نادِ أصحابَ السَّمُرة» أي نادِ لي أصحابَ بيعة الرضوان.

(٢) «لكأنَّ عَطْفَتهم عَطْفَةُ البقر على أولادها» شبَّههم في سرعة رجعتهم واجتماعهم حول رسول الله ﷺ بالبقرة تحنو على أولادها.

(٣) «حمي الوطيسُ» أي اشتدّت الحربُ، واستعَرَ القتالُ، وهذه العبارةُ من فصيح الكلام وبديعه، لم تُسمع من أحدٍ قبله ﷺ وأصلُ لوطيسُ: التنُّور، كما قال علماء اللغة، فكنّى عن الحرب بالوطيس.

(٤) «رماهم بحصياته» في هذا معجزة لرسول الله ﷺ إذ ليس في القوة البشرية، إيصال قبضة من تراب وحصى إلى وجوه جميع الكفار ولكنها قدرة الله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾.

(٥) «حَدَّهُم كَليلاً وأمرَهم مدبراً» يعني قوَّتُهم ضعيفة، حتى انهزموا وولَّوا الأدبار.

(٦) «إن الله طيب» أي مقدّس منزّه عن النقائص والعيوب.

(٧) «لا يقبل إلا طيباً» أي لا ينبغي التقرب إليه إلا بالحلال.

الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ[١]، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ[٢]، يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ[٣]، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ!؟» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٥٠ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ[٤]، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«الْعَائِلُ»: الْفَقِيرُ.

١٨٥١ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَيْحَانُ، وَجَيْحَانُ وَالْفُرَاتُ، وَالنِّيلُ، كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ»[٥] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٥٢ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي فَقَالَ: خَلَقَ اللَّهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ ﷺ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فِي آخِرِ الْخَلْقِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ، فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٥٣ ـ وَعَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ «خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ، تِسْعَةُ أَسْيَافٍ[٦]، فَمَا بَقِيَ فِي

---

(١) «أشعث أغبر» أي متفرّق شعر الرأس، مغبرُ الوجه والثياب.

(٢) «يمدُّ يديه إلى السماء» أي يدعو ربَّه متضرّعاً خاشعاً ذليلاً.

(٣) «وغُذِيَ بالحرام» أي المطعمُ، والمشربُ، والملبسُ، كلُّ ذلك من المال الحرام، فمن أين يُستجاب لدعائه!؟

(٤) «شيخ زان» إنما خُصَّ هؤلاء الثلاثة بسخط الله، لأن المعصية وقعت لا لحاجة، فالرجل المسنُّ ضعفت شهوتُه عن الحلال فكيف بالحرام؟ والملكُ له عزةٌ وسطوة، ولا يخاف من أحد، فلماذا يكذب؟ والفقير المحتاج علامَ يتكبّر؟ وهو بحاجة إلى من يُعينه ويُسعفه؟

(٥) «سيحان والفراتُ والنيل من أنهار الجنة» ليس معناه أنها تنبع من الجنة، وإنما المعنى أن هذه الأنهار من محض الفضل الإلهي على عباده، فكأنها نبعت عليهم من الجنة، لأن أنهار الجنة تجري في غير أخاديد، وتنبع من أماكن لا يعلمها إلا الله.

(٦) «انقطعت في يدي تسعةُ أسياف» يقول خالد بن الوليد: لقد تكسرت معي تسعة سيوف في غزوة مؤتة، وهذا يدل على شجاعة خالد، وقوة الضرب والقتال، ولهذا سماه الرسول ﷺ (سيف الله المسلول).

يَدِي إلا صَفيحَةٌ يَمَانِيَةٌ»[1] رَوَاهُ البُخَارِي.

١٨٥٤ ـ وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ، فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ[2]، وإِنْ حَكَمَ وَاجْتَهَدَ، فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

١٨٥٥ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالمَاءِ»[3] مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٥٦ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صَوْمٌ، صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَالْمُخْتَارُ جَوَازُ الصَّوْمِ عَمَّنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صَوْمٌ لِهٰذَا الْحَدِيثِ، وَالْمُرَادُ بِالْوَلِيِّ: الْقَرِيبُ، وَارِثاً كَانَ أَوْ غَيْرَ وَارِثٍ.

١٨٥٧ ـ وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الطُّفَيْلِ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حُدِّثَتْ أَنَّ «عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ فِي بَيْعٍ أَوْ عَطَاءٍ أَعْطَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا: «وَاللَّهِ لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ، أَوْ لأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا، قَالَتْ: أَهُوَ قَالَ هٰذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَتْ: هُوَ لِلَّهِ عَلَيَّ نَذْرٌ، أَنْ لا أُكَلِّمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَبَداً[4]، فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا حِينَ طَالَتِ الْهِجْرَةُ، فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهِ لَا أُشَفِّعُ فِيهِ أَبَداً، وَلَا أَتَحَنَّثُ إِلَى نَذْرِي، فَلَمَّا طَالَ ذٰلِكَ عَلَى «ابْنِ الزُّبَيْرِ» كَلَّمَ «الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ» وَ«عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ الأَسْوَدِ» بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ، وَقَالَ لَهُمَا:

---

(١) «صفيحة يمانية» أي بقي سيف يماني على تلك الصفة أقاتل به.

(٢) «إذا اجتهد فأصاب فله أجران» أي إذا كان الحاكم من أهل الاجتهاد، ثم اجتهد فأصاب كان له أجران، لأنه بذل جهده لمعرفة الحق، أما إذا لم يكن من أهل الاجتهاد فإنه يأثم، والحديث يدل على أن الاجتهاد في الأحكام التي لم يرد فيها نصٌّ مطلوب، وأن المجتهد يُؤجر ولو أخطأ في اجتهاده.

(٣) «الحمّى من فيح جهنم» هذا على التمثيل، أي كأنها نفحة من نفحات جهنم، في قوة لهبها، فرشُّوا عليها الماء البارد.

(٤) «لله عليّ نذر أن لا أكلّم ابن الزبير» نذرت عائشة رضي الله عنها أن لا تكلّم ابن أختها «عبد الله بن الزبير» وهذا النذر لا يجب الوفاء به، لأنه ليس نذر طاعة، ويمكنها الاستمرارُ به، أو الحنثُ والإتيان بكفارة يمين، أما سببُ هذا النذر، فهو ما بلغها عنه من قوله: «لأحجرنَّ عليها» لأنها كانت تعطي بسماحةٍ وكرمٍ زائدٍ، ورأى ابنُ الزبير أن هذا من التبذير.

أَنْشُدُكُمَا اللَّهَ لَمَا أَدْخَلْتُمَانِي عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَإِنَّهَا لَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَنْذِرَ قَطِيعَتِي، فَأَقْبَلَ بِهِ الْمِسْوَرُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَتَّى اسْتَأْذَنَا عَلَى عَائِشَةَ، فَقَالَا: السَّلَامُ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، أَنَدْخُلُ؟ قَالَتْ عَائِشَةُ: ادْخُلُوا. قَالُوا: كُلُّنَا؟ قَالَتْ: نَعَم ادْخُلُوا كُلُّكُمْ، وَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُمَا ابْنَ الزُّبَيْرِ، فَلَمَّا دَخَلُوا، دَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْحِجَابَ، فَاعْتَنَقَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَطَفِقَ يُنَاشِدُهَا وَيَبْكِي، وَطَفِقَ الْمِسْوَرُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ يُنَاشِدَانِهَا، إِلَّا كَلَّمَتْهُ وَقَبِلَتْ مِنْهُ، وَيَقُولَانِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَمَّا قَدْ عَلِمْتِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَى عَائِشَةَ مِنَ التَّذْكِرَةِ، وَالتَّحْرِيجِ، طَفِقَتْ تُذَكِّرُهُمَا وَتَبْكِي، وَتَقُولُ: إِنِّي نَذَرْتُ وَالنَّذْرُ شَدِيدٌ، فَلَمْ يَزَالَا بِهَا حَتَّى كَلَّمَتِ ابْنَ الزُّبَيْرِ، وَأَعْتَقَتْ فِي نَذْرِهَا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَةً(١)، وَكَانَتْ تَذْكُرُ نَذْرَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَتَبْكِي، حَتَّى تَبُلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا» رَوَاهُ الْبُخَارِي.

١٨٥٨ ـ وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى قَتْلَى أُحُدٍ، فَصَلَّى عَلَيْهِمْ بَعْدَ ثَمَانِ سِنِينَ(٢)، كَالْمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ(٣)، ثُمَّ طَلَعَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ(٤)، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ(٥)، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْحَوْضُ(٦)، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هٰذَا، أَلَا وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى

(١) «وأعتقت في نذرها أربعين رَقَبَةً» وهذا من مزيد ورعها، وإلا فتكفي رقبة واحدة.

(٢) «خرج إلى قتلى أحد فصلى عليهم» أي دعا لهم بالرحمة، ولا يُراد به الصلاة على الميت، لأن الشهداء لا يُصلَّى عليهم، لأن ذنوبهم مغفورة.

(٣) «كالمودِّع للأحياء والأموات» هذا كان عند شعوره ﷺ بدنوّ الأجل، فقال في حجة الوداع وهو يخاطب أصحابه: «اسمعوا مني فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا» ودعا لشهداء أحد، فكأنه ودّع الأحياء والأموات.

(٤) «إني بين أيديكم فَرَطٌ» أي سابق لكم إلى الآخرة، لأهيّء لكم المنزل عند الحوض، والفَرَط: الشخصُ الذي يتقدم القوم لتهيئة مصالحهم، ويشبه الواردَ الذي يتقدم إخوانه ليدلهم على الماء.

(٥) «وأنا شهيد عليكم» أي أشهد عليكم يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾.

(٦) «وإنّ موعدكم الحوضُ» أي مكان لقائي بكم هو الحوضُ الذي وعدني الله به، وهو غير نهر الكوثر الذي أعطيه ﷺ.

عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلٰكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا[1] أَنْ تَنَافَسُوهَا قَالَ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ، نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رِوَايَةٍ: «وَلٰكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا، وَتَقْتَتِلُوا فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» قَالَ عُقْبَةُ: فَكَانَ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ.

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ ـ أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ ـ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلٰكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا».

وَالْمُرَادُ بِالصَّلَاةِ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ: الدُّعَاءُ لَهُمْ، لَا الصَّلَاةُ الْمَعْرُوفَةُ.

١٨٥٩ ـ وَعَنْ أَبِي زَيْدٍ «عَمْرِو بْنِ أَخْطَبَ» الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ[2]، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا»[3] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٦٠ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ

---

(١) «لا أخشى عليكم أن تشركوا ولكن أخشى عليكم الدنيا» أي لا أخاف عليكم من الإشراك بالله، لأن الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب، لا يخرج من قلب المؤمن، وإنما أخشى عليكم من الدنيا أن تتسابقوا نحوها، وتقتتلوا من أجلها، فتهلكوا بسبب ذلك، وهذا الحديث ردٌّ على من يقذف المسلمين بالشرك والكفر، لأبسط الأمور، ويرميهم بالشرك من غير حجة ولا برهان، وفيه النهيُ عن التكالب على الدنيا، فإنه سبب للهلاك الديني والدنيوي.

(٢) «صلّى بنا الرسول ﷺ الفجر» صلّى الرسول ﷺ بأصحابه الفجر، ثم قام خطيباً فيهم حتى دخل وقتُ الظهر، فنزل عن المنبر وصلّى بهم الظهر، ورجع إلى المنبر فخطب بهم حتى العصر، وهكذا استمر يخطب في أصحابه طيلة النهار، حتى غربت الشمس، وذلك قبل وفاته ﷺ.

(٣) «فأخبرنا بما كان وما هو كائن» أي أخبرهم ﷺ بما حدث للأمم السابقة، وبما سيكون إلى قيام الساعة، من الأخبار، والفتن، والأحداث التي تقع في المستقبل، وهذا من معجزاته ﷺ حيث أخبرهم عن أشياء غيبيّة، ولهذا قال الراوي: «فأعلمُنا أحفظُنا» أي أعلمُ الناس بهذه الأحداث والوقائع، أكثرُنا حفظاً لها، وكلُّ ما أخبر عنه الرسول ﷺ من المغيّبات، إنما هو بإيحاء الله له بها، وليس من تلقاء نفسه قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾.

يُطيعَ اللَّه فَلْيُطعْهُ، ومَن نَذَرَ أنْ يَعْصِيَ اللَّهَ، فَلا يَعْصِهِ»[1] رَوَاهُ البُخاري.

١٨٦١ ـ وَعَنْ أمِّ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أمَرَهَا بِقَتْلِ الأوْزَاغِ، وَقَالَ: كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إبْرَاهِيمَ»[2] متفقٌ عَلَيْهِ.

١٨٦٢ ـ وَعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ قَتَلَ وَزَغَةً في أوَّلِ ضَرْبَةٍ، فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً، وَمَنْ قَتَلَهَا في الضَّرْبَةِ الثَّانِيَةِ، فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً دُونَ الأولَى، وَإنْ قَتَلَهَا في الضَّرْبَةِ الثَّالِثَةِ، فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً».

وفي رِوَايَةٍ: «مَنْ قَتَلَ وَزَغاً في أوَّلِ ضَرْبَةٍ، كُتِبَ لَهُ مائةُ حَسَنَةٍ، وَفي الثَّانِيَةِ دُونَ ذلِكَ، وَفي الثَّالِثَةِ دُونَ ذلِكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قَالَ أهْلُ اللُّغَةِ: الْوَزَغُ: الْعِظَامُ مِنْ سَامٍّ أبْرَصَ.

١٨٦٣ ـ وَعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ لأتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِه، فَوَضَعَهَا في يَدِ سَارِقٍ[3]، فأصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ، تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ على سارق؟ لأتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَها في يَدِ زَانِيَةٍ، فَأصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ، تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ!؟ لأتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ

---

(١) «ومن نذر أن يعصيَ اللَّه فلا يعصه» النذر يجب الوفاء به إذا كان فيه طاعة لله، أمّا في المعصية فلا ينعقد النذر، ولا يجب الوفاء به، كمن ينذر إذا ردَّ الله ولده الغائب سالماً، أن يقيم له حفلة راقصة، يجتمع فيها الفنَّانون والفنَّانات، والرقَّاصون والرقَّاصات، وهكذا حكم كل نذر فيه لله معصية.

(٢) «أمر بقتل الأوزاغ» جمع وزغة وتُسَمَّى «سامّ أبرص» وذلك لما تنفسه من ضرر في الطعام، وبوجه خاص على الملح، ثم لمعنى آخر، وهو إظهار العداوة لسيدنا إبراهيم «خليل الرحمن»، فحين أُلقي في النار، جعلت تنفخ في النار ليزيد لهبها، وهذا وإن لم يكن له تأثير، يدلُّ على خبثٍ وعداوة لأبي الأنبياء ﷺ.

(٣) «وَضَع الصَّدَقَةَ في يد سارق» هذا الحديث فيه إشارة إلى أن الله تعالى يجازي الإنسان على نيّته، لا على عمله فحسب، فهذا الرجل عزم على الصدقة على الفقراء والمساكين، فخرج بالليل فتصدَّق، فوقعت في يد سارق، وفي اليوم الثاني في يد زانية، وفي اليوم الثالث في يد غني، فقبل الله صدقته، وإن لم تقع في محلّها، فرأى في منامه، كأن رجلاً يبشره ويقول له: إن الله قد قبل صدقتك، أمّا السارق فلعله أن يكفّ عن السرقة بهذه الصدقة، وأما الزانية فلعلّها تعفّ عن الزنى بصدقتك، وأمّا الغنيُّ فلعلّه يستحي ويترك البخل، وينفق في سبيل الله، وتكون هذه الصدقة درساً يعتبر بها البشر.

بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا في يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ، وَعَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ! فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الْغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَعْتَبِرَ، فَيُنْفِقَ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بلفظِهِ، وَمُسْلِمٌ بِمَعْنَاهُ.

١٨٦٤ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في دعْوَةٍ[١]، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً[٢] وَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[٣]، هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ[٤]، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ[٥]، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الغَمِّ وَالْكَرْبِ[٦]، مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلا تَرَوْنَ إِلى مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ إِلى مَا بَلَغَكُمْ؟ أَلا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ، فَسَجَدُوا لَكَ، وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ، أَلا تَشْفَعُ لَنَا إِلى رَبِّكَ؟ أَلا تَرَى إِلى ما نَحْنُ فِيهِ، وَمَا بَلَغَنَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ غَضَباً، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ

---

(١) «كنا مع رسول الله في دعوة» أي في دعوة بعض أصحابه إلى الطعام.

(٢) «فنهس منها نهسة» أخذ من الذراع بأطراف أسنانه.

(٣) «أنا سيد الناس» أي سيد الخلق على الإطلاق يوم القيامة، يقوله تحدثاً بنعمة الله عليه.

(٤) «يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد» أي في أرض واحدة مستوية هي أرض المحشر.

(٥) «فيبصرهم الناظر» أي يرى كلُّ إنسان جميع أهل المحشر، ويسمع كلامهم.

(٦) «فيبلغ الناس من الغمّ والكرب» أي تأخذهم أهوال يوم القيامة وشدائدها، فيبحثون عمن يشفع لهم، فيأتون آدم، ثم نوحاً، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، وكلُّهم يعتذر عن الشفاعة، حتى يأتون سيد الرسل محمداً خاتم النبيّن ﷺ يطلبون منه أن يشفع لهم ليتخلّصوا من هول الموقف، فيقول: أنا لَها، أنا لها!! فيذهب ويسجد تحت العرش، ويلهمه الله دعاءً لا يعرفه الآن، ثم يأتيه النداء، من خالق الأرض والسماء: يا محمد ارفع رأسك، واسأل تعط ما تطلبه، واشفع تُشفَّع، وهذا هو مقام الشفاعة العظمى لخاتم الأنبياء والمرسلين، وهو المقام المحمود الذي أشرت إليه الآية الكريمة ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ سمي المقام المحمود لأنه يحمده عليه جميع أهل المحشر، المؤمنون والكفار، والملائكة الأبرار.

الشَّجَرَةِ، فَعَصَيْتُ، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غَيْرِي، اذْهَبُوا إلى نُوحٍ!! فَيَأْتُونَ نُوحاً فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْداً شَكُوراً، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرَى إِلى ما بَلَغَنَا؟ أَلا تَشْفَعُ لَنَا إِلى رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ، دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلى إِبْرَاهِيمَ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاثَ كَذَبَاتٍ[1]، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى. فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ[2]، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْساً لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا[3]، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى. فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مثله، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ـ وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْباً ـ، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلى مُحَمَّدٍ ﷺ».

---

(١) قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ وقوله في سارة «أختي»، والحق أنها ليست معاصي: أي سأسقم، «وفعله كبيرهم» إن كانت الأصنام تنطق، «وأختي»: أي في الإسلام، لكنها لمّا كانت بصورة الكذب، سماها كذباً وعدّها ذنباً، أشفق منه على نفسه وذلك لأن من كان أعرف بالله تعالى، وأقرب منه منزلة كان أعظم خطراً وأشد خشية، وعلى هذا سائر ما أضيف إلى الأنبياء من الخطأ، فإن ظاهره غير مراد، وله وجه من التأويل صحيح، فلا يدخل أبداً في باب الكذب.

(٢) أي عدا نبينا ﷺ فقد كلمه الله ليلة المعراج مباشرةً، وفرض عليه الصلوات الخمس.

(٣) هو القبطي خباز فرعون، ولما قتل موسى ذلك القبطي الكافر، قال هذا من عمل الشيطان، ثم إن موسى عليه السلام من كمال معرفته بعظمة ربه عزّ وجلّ، فإنه أشفق من قتله ذلك، مع أن الله أخبره أنه غفر له.

وفي روايةٍ: «فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِداً لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عليْهِ، شَيْئاً لَم يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارفَع رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ، مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ، مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ، فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٦٥ ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «جَاءَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ بِأُمِّ إِسْمَاعِيلَ[١]، وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ، وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهَا عِنْدَ الْبَيْتِ، عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ[٢] وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ[٣] وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَاكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَاباً فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقاً[٤]، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ أَنِيسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَاراً، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا[٥]، قَالَتْ لَهُ: آللَّهُ أَمَرَكَ بِهذَا[٦]؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: إِذاً لَا يُضَيِّعُنَا[٧]!! ثُمَّ رَجَعَتْ،

---

(١) اسمها «هاجر» القبطية وهبها «لسارة» ملك مصر الذي أراد سارة بالسُّوء فمنعه الله منها.

(٢) «وضعها عند دوحة» أي ترك سيدنا إبراهيم «هاجر» مع ولدها «إسماعيل» تحت شجرة، قريباً من مكان زمزم.

(٣) «وليس بمكة أحد» أي لم يكن بمكة ساكن، وليس فيها بنيان.

(٤) «ثم قفى إبراهيم منطلقاً» أي أراد الرجوع إلى أرض فلسطين، ومضى في طريقه بعد أن ترك «هاجر» و «إسماعيل» في ذلك المكان القفر.

(٥) «جعل لا يلتفت إليها» مخافة أن تصدّه عن تنفيذ أمر الله تعالى

(٦) «آلله أمرك بهذا» أي هل تركُكَ لنا في هذا الوادي بأمرٍ من الله؟

(٧) «قال نعم، قالت إذاً لا يضيّعنا» أي لا يُضيّعنا الله!! اللهُ أكرمُ، إنه الإيمانُ الذي يصنع العجائب، فكيف بترك إبراهيم أهله وولده، في صحراء ليس فيها ماء، وفي مكان ليس به أنيس ولا ساكن؟ ثم كيف تقابله «هاجر» بالرضى والاطمئنان، حين أيقنت أن هذا الفعل كان بأمرٍ من الله تعالى؟ ولكنّه الإيمانُ ليس غير، الإيمانُ الذي هو أثبتُ وأرسخ من الجبال، لهذه الأسرة الكريمة،

فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهؤلاءِ الدَّعَوَاتِ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧] وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ، وَتَشْرَبُ مِنْ ذٰلِكَ الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ[1]، عَطِشَتْ، وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى[2]، أَوْ قَالَ: يَتَلَبَّطُ، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الْوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَداً؟ فَلَمْ تَرَ أَحَداً، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْوَادِيَ، رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتِ الْوَادِيَ، ثُمَّ أَتَتِ الْمَرْوَةَ، فَقَامَتْ عَلَيْهَا، فَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَداً؟ فَلَمْ تَرَ أَحَداً، فَفَعَلَتْ ذٰلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَذٰلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا» فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتاً، فَقَالَتْ: صَهْ ـ تُرِيدُ نَفْسَهَا ـ ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضاً فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوْضُهُ[3] وَتَقُولُ بِيَدِهَا هٰكَذَا وَجَعَلَتْ تَغْرُفُ الْمَاءَ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرُفُ»[4].

من منّا يملك مثل هذه العقيدة؟ ومثل هذا الصبر والتسليم لأمر الله جلّ وعلا!؟ وهنا يظهر لنا قدر هذه الكلمة: اذهب فلن يُضَيِّعَنا الله.

(١) «نَفِدَ ما في السِّقاء» أي انتهى الماء الذي كان في القربة، وعطشت وعطش ولدها، ذهبت تبحث له عن ماء.

(٢) «جعلت تنظر إليه يتلوّى» أي يكاد ولدها إسماعيل يموت من العطش، فصعدت جبل الصفا، لعلها تجد من ينقذها وولدها من الهلاك من شدة العطش، فلم تر أحداً، فهبطت في الوادي وهي «تهرول» تسرع السير، حتى صعدت على جبل المروة ونظرت فلم تر أحداً، فصارت تهرول بينهما سبع مرات، قال ﷺ: «فذلك سَعْي الناسُ بينهما» وفي المرة السابعة سمعت صوتاً، فقالت: أغثنا إن كان عندك غواث ـ أي ما ينقذنا من الموت ـ فرأت جبريل بصورة رجل ضرب برجله الأرض، فنبع منها ماء زمزم، وقال لها: إن للّهِ هٰاهنا بيتاً يبنيه هذا الغلام وأبوه!! ثم غاب المَلَك عنها، هذه خلاصة قصة أبي الأنبياء إبراهيم وولده إسماعيل وزوجه هاجر، وإنها لدرسٌ بليغ في الإيمان، والاستسلام لأمر الله جلّ وعلا.

(٣) أي تجعله مثل الحوض، وقولها «صَهْ» يعني: اسكتي تخاطب بذلك نفسها.

(٤) أي ينبع نبعاً شديداً، وهي تغرف منه وتجمع خشية أن يذهب الماء في الأرض.

وفي روايةٍ: «بِقَدْرِ مَا تَعْرِفُ». قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ ـ أَوْ قَالَ ـ لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ، لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْناً مَعِيناً»[١] قَالَ: فَشَرِبَتْ، وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ[٢] فَإِنَّ هٰهُنَا بَيْتاً لِلَّهِ يَبْنِيهِ هٰذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ، وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعاً مِنَ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ[٣] تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذٰلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمٍ، أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمٍ، مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ، فَرَأَوْا طَائِراً عَائِفاً[٤] فَقَالُوا: إِنَّ هٰذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ لَعَهْدُنَا بِهٰذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ، فَأَرْسَلُوا جَرِيّاً أَوْ جَرِيَّيْنِ[٥]، فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ، فَرَجَعُوا، فَأَخْبَرُوهُمْ، فَأَقْبَلُوا وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ، فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، وَلٰكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَلْفَى ذٰلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، وَهِيَ تُحِبُّ الْأُنْسَ» فَنَزَلُوا، فَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِهَا أَهْلَ أَبْيَاتٍ، وَشَبَّ الْغُلَامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ، وَأَنْفَسَهُمْ[٦] وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ، زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَ مَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ[٧] فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا.

وفي رِوَايَةٍ: يَصِيدُ لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، وَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ، اقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ: يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ[٨]، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئاً فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي: كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ:

---

(١) أي ظاهراً جارياً على وجه الأرض.
(٢) أي الهلاك والضياع.
(٣) المنطقة المرتفعة من الأرض.
(٤) يدور حول الماء، تشير الطيور بوجود ماء في المنطقة.
(٥) «فأرسلوا جَرِيًّا» أي بعثوا رسولاً يبحث لهم عن الماء أو رسولين.
(٦) أي كثرت رغبتهم فيه.
(٧) «يطالع تركته» يتفقد ما تركه من أهله وولده.
(٨) «عَتَبَةُ البابِ» كناية عن طلاق زوجته.

نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلامَ، وَيَقُولُ: غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكَ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ، الْحَقِي بِأَهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ، فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ، فَسَأَلَ عَنْهُ، قَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ. فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ وَأَثْنَتْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ: اللَّحْمُ، قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ: الْمَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ، قَالَ: فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ».

وفي روايةٍ: «فَجَاءَ فَقَالَ: أَيْنَ إِسْمَاعِيلُ؟ فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ: ذَهَبَ يَصِيدُ، فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ: أَلَا تَنْزِلُ، فَتَطْعَمَ وَتَشْرَبَ؟ قَالَ: وَمَا طَعَامُكُمْ وَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتْ: طَعَامُنَا اللَّحْمُ، وَشَرَابُنَا الْمَاءُ. قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ[1] ﷺ: بَرَكَةُ دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ، فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَمُرِيهِ يُثَبِّتْ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا؟ فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكَ أَبِي، وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ، ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ[2] قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ، وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ، قَالَ يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ؟ قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ بَيْتًا هَهُنَا، وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ[3] عَلَى مَا حَوْلَهَا، فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَ الْقَوَاعِدَ[4] مِنَ الْبَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ، وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ، جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ[5] فَوَضَعَهُ

(١) كنية النبي ﷺ يريد أن النبي ﷺ قال: إن هذه بركةُ دعوةِ إبراهيم عليه السلام.

(٢) شجرة كبيرة.

(٣) تلٌّ من الرمل مرتفع فيه بعضُ الحجارة.

(٤) الأساس، يعني أنه بدأ ببناء أساس الكعبة المشرَّفة مع ولده إسماعيل.

(٥) يعني المقام «مقام إبراهيم» عليه السلام.

لَهُ، فقامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْني وَإسماعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولانِ: رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إنَّك أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

وفي روايةٍ: «إنَّ إبْرَاهِيمَ خَرَجَ بِإسْمَاعِيلَ وَأُمِّ إسْمَاعِيلَ، مَعَهُمْ شَنَّةٌ[١] فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَتْ أُمُّ إسْمَاعِيلَ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ، فَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلى صَبِيِّهَا، حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَوَضَعَهَا تَحْتَ دَوْحَةٍ، ثُمَّ رَجَعَ إبْرَاهِيمُ إلى أَهْلِهِ، فاتَّبَعَتْهُ أُمُّ إسْمَاعِيلَ حَتَّى لمَّا بَلَغُوا كَدَاءً، نَادَتْهُ مِنْ وَرَائِهِ: يَا إبْرَاهِيمُ إلى مَنْ تَتْرُكُنَا؟ قَالَ: إلى اللَّهِ، قَالَتْ: رَضِيتُ باللَّهِ، فَرَجَعَتْ، وَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ، وَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلى صَبِيِّهَا، حَتَّى لمَّا فَنِيَ الماءُ، قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ، فَنَظَرْتُ[٢]، لَعَلِّي أُحِسُّ أَحَداً، قَالَ: فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتْ الصَّفا، فَنَظَرَتْ وَنَظَرَتْ هَلْ تُحِسُّ أحداً، فَلَمْ تُحِسَّ أَحَداً؟ فَلَمَّا بَلَغَتِ الْوَادي سَعَتْ، وَأَتَتِ الْمَرْوَةَ، وَفَعَلَتْ ذلكَ أَشْوَاطاً[٣]، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ ما فَعَلَ الصَّبِيُّ، فَذَهَبَتْ وَنَظَرَتْ، فَإذا هُوَ عَلى حَالِهِ، كَأَنَّهُ يَنْشَغُ لِلْمَوْتِ، فَلَم تُقِرَّهَا نَفْسُهَا[٤]، فَقَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ، فَنَظَرْتُ لَعَلِّي أُحِسُّ أَحَداً فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتِ الصَّفا، فَنَظَرَتْ وَنَظَرَتْ، فَلَمْ تُحِسَّ أَحَداً، حَتَّى أَتَمَّتْ سَبْعاً، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ، فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ، فَإذا هِيَ بِصَوْتٍ، فَقَالَتْ: أَغِثْ إنْ كان عِنْدَكَ خَيْرٌ، فَإذا جِبْرِيلُ ﷺ فَقَالَ بِعَقِبِهِ هكَذَا، وغمزَ بِعَقِبِه على الأَرْضِ[٥]، فانْبَثَقَ الماءُ فَدَهِشَتْ أُمُّ إسْمَاعِيلَ، فَجَعَلَتْ تَحْفِنُ»[٦].

وذَكَرَ الحَدِيثَ بِطُولِهِ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِهذِهِ الرواياتِ كلها.

«الدَّوْحَةُ»: الشَّجَرَةُ الْكَبِيرَةُ. «تَفْنى» أَيْ: وَلَّى «وَالجَرِيُّ»: الرَّسُول «وَأَلْفى» معناه: وَجَدَ «يَنْشَغُ» أَيْ: يَشْهَقُ.

---

(١) سقاء من جلدٍ يوضع فيه الماء.
(٢) تأملت وكرَّرت النظر لعلَّها ترى من يُسعفها بالماء.
(٣) أي ثلاثاً أو سبعاً كما هو الأظهر لرواية الصحيح «حتى أتمت سبعاً».
(٤) أي لم تتركها نفسُها أن تقرَّ لما رأت من حاله وهو يكاد يفارق الحياة.
(٥) ضرب برجله الأرضَ فنبع الماءُ.
(٦) تملأ كفيها بالماء وتجمعه في إناء.

١٨٦٦ ـ وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ[1]، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ»[2] مُتَّفَقٌ عليه.

❁❁❁

(١) «الكمأة من المنّ» أي ممّا منَّ اللّهُ به على بني إسرائيل، ومِمَّا منَّ اللّه به على عباده المؤمنين، فهي تخرج من الأرض من غير زراعة.

(٢) «وماؤها شفاء للعين» أي يُعصر من مائها في العين، وهو علاج لها ودواء، وهذا الأمر نؤمن به ونصدّقه، لأنه كلام من لا ينطق عن الهوى.

obeikandl.com